دعوة الشيخ عثمان بن فودي بنيجيريا عام ١٢٠٢ هـ/١٧٨٨م وتأثرها بدعوة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب الإصلاحية

د. نورة بنت معجب الحامد
قسم التاريخ ـ كلية الآداب
جامعة الملك سعود

ملخص البحث :

تتناول هذه الدراسة ظهور دعوة الشيخ عثمان بن فودي في منطقة نيجيريا بغرب أفريقيا. ومن هذا المنطلق يتم التعرف على تاريخ منطقة نيجيريا وحضارتها . وتوضح الدراسة دور قبائل الهوسا في نشر الإسلام في تلك الجهات. ومن بينها قبيلة الفولاني التي ينحدر منها الشيخ عثمان. واتخذت دعوته طرقا متعددة لنشر الإسلام بدءًا بالموعظة الحسنة ، ومراسلة الحكام ، وانتهاءً بالجهاد ضد قوى الكفر ، والوثنية في المنطقة. واستطاع أن يؤسس دولة إسلامية سارت على هدي من كتاب الله وسنة رسوله. وتأثرت بدعوة المصلح الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الدعوة ، والتبليغ ، ومحاربة البدع والخرافات. وأصبحت العاصمة "سوكوتو" منارة للعلم والعلماء في غربي أفريقيا. ولم يقتصر نفوذ تلك الدولة على شمالي نيجيريا وإنما تعداه ليشمل نيجيريا بأكملها. وجاء خلفاؤه من بعده ليكملوا المسيرة .كما تأثر تلامذته بنهجه ؛ فعملوا على نشر الإسلام في غرب أفريقيا ومنهم : الشيخ أحمد ولوبو ، والشيخ عمر بن سعيد الفوتي ؛ فرحم الله هؤلاء الدعاة الذين حملوا لواء الإسلام وجاهدوا في سبيل الله حق جهاده .

توطئه :

استمدت نيجيريا هذا المسمى من اسم النهر الذي يخترق أراضيها وهو" نهر النيجر " فكلمة نيجيريا تعني " ما حول النيجر ". والنيجر اسم مستمد من الكلمة اللاتينية"Negre" أي الزنجي الأسود ؛ فأصبح النهر يعني نهر الزنج.(١)

والأسبان هم أول من أطلق اسم نيجيريا على ما حول هذا النهر(٢)، وإن كان هناك من يرى أن زوجة المندوب السامي البريطاني هي التي أطلقت هذا المسمى حينما حلت بالبلاد منذ عام ١٣١٨هـ / ١٩٠٠م(٣).

ويبدو أن الإسبان قد أطلقوا هذا المسمى على الجزء المحيط بالنهر من نيجيريا الحالية الداخلية في حين أن هذا المسمى قد اتسع ليشمل نيجيريا بأكملها وذلك في عصر الاستعمار البريطاني ، بينما كان العرب يطلقون عليها اسم " بلاد التكرور" أو السودان الغربي(٤).

وتقع نيجيريا على الساحل الغربي لقارة أفريقيا بين خطي عرض (١٤،٤) شمالاً ، وخطي طول (٣،١٥) شرقاً ، وتحدها الكاميرون من ناحية الشرق، بينما تحدها بحيرة تشاد من الناحية الشمالية الشرقية، كما تحدها تشاد والنيجر شمالاً ، وداهومي غرباً ، وهي تطل على المحيط الأطلسي من الجنوب. وتبلغ مساحة

---

(١) أحمد شلبي ، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٣ ، ١٩٧٨م) ، جـ٦ ، ص٥٧٦.

(٢) آدم عبدالله الألوري ، موجز تاريخ نيجيريا، (منشورات دار مكتبة الحياة. بيروت. ١٩٦٥م) ، ص ٢١.

(٣) عبد العزيز الخضري، نيجيريا والانتصار للعالم الثالث، (مجلة الشرق، العدد ٢٢٨. السنة السادسة ، أغسطس ١٩٨٣م)، ص ١٥.

(٤) شلبي ، المرجع السابق ، جـ٦ ،ص٥٧٦- ٥٧٧.

نيجيريا حوالي (٩٢٣,٧٦٨ كم) تقريباً [١]. بينما يبلغ عدد سكانها في إحصائيات عام١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م "١٣٣,٨٨١,٧٠٣" نسمة. ويشكل المسلمون٧٠٪ من مجموع السكان، والبقية نصارى ووثنيون ، ولا دينيون[٢]. وهي بهذا تعد من أكثر الدول الأفريقية سكاناً.[٣]

وتتدرج تضاريس البلاد من سهول منبسطة في منطقة الساحل إلى هضبة متوسطة الاتساع في الداخل ، بينما ترتفع بعض المناطق مكونة هضبة عالية نسبيا[٤]. ويتخلل تلك التضاريس وادٍ يخترق المنطقة من الشمال متجهاً نحو الداخل وهو امتداد لنهر النيجر الذي يعد ثالث أنهار أفريقيا عظمةً واتساعاً . وإلى جانبه نجد روافده التي تمتد في المنطقة بأكملها ومن أهمها "البينوئي"[٥].

أما بالنسبة للمناخ فهو يتفاوت بوضوح في قسميه الشمالي والجنوبي. ففي القسم الشمالي نجد المناخ مدارياً في الجهة الشمالية الشرقية من البلاد، و يمتاز بوجود فصل جاف تطول مدته إلى نحو ثمانية أشهر. أما في الجنوب فالمناخ فيه استوائي حيث تكون الحرارة مرتفعة يصاحبها ارتفاع في الرطوبة مع أمطار غزيرة. بينما يحل الجفاف بمنطقة الداخل[٦].

وتبعا لتغير المناخ فإن وجود النبات الطبيعي ونوعيته يتأثران بكمية الأمطار،

---

(١) الألوري ، المرجع السابق ، ص٢١.

(٢) شلبي ، المرجع السابق ، ج٦ ، ٥٨٢.

(٣) الألوري ، المرجع السابق ، ص٢١..

(٤) محمد رياض وكوثر عبد رب الرسول ، أفريقيا : دراسة لمقومات القارة ، (دار النهضة العربية، بيروت ، ط١٩ ، ٢ ٧٣م ، ص٤٦٥.

(٥) محمود شاكر، نيجيريا ، (مؤسسة الرسالة، بيروت ، ط٢ ، ١٩٧١م)، ص ٥٦.

(٦) جودة حسين جودة ، جغرافية إفريقيا الإقليمية ، (دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١م)، ص ٣١٨.

وموسمها فتنمو غابات المانجروف في المنطقة الساحلية ، بينما تتوفر الغابات المدارية في منطقة الداخل حيث يتم استغلال أخشابها . أما في الوسط والشمال فتنمو حشائش السفانا[١].

وتتكون نيجيريا من ست وثلاثين ولاية ، إضافة إلى العاصمة "أبوجا Aboga"[٢]. ولكل ولاية مجلس تشريعي خاص ، وحاكم منتخب . ومن أشهر تلك الولايات " لاغوس Lagos " التي تعد مركزاً اقتصادياً هاماً. كما أن من أهم المدن "كانو Kano " ، "كادونا Kadona " ، "اينوغو Enogo "[٣].

وينتمي السكان إلى ما يقرب من مائتي قبيلة مختلفة في لغاتها ولهجاتها كاختلافها في البيئات والعادات منها شعوب الهوسا[٤] ، والفولاني، والبرنو ، وغيرها .وعاشت تلك الجماعات جنباً إلى جنب في تلك المنطقة ، واتحدت في لغة مشتركة هي لغة الهوسا ، وتعاونت تلك الشعوب فيما بينها لتأسيس مجتمع متماسك .[٥]

ولهذا تعد قبائل الهوسا من أكبر القبائل النيجيرية فهي تتألف من عناصر

---

(١) أحمد نجم الدين فليجة ، أفريقية – دراسة عامة وإقليمية لأقطارها غير العربية ،(مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٧٧م)، ص ٢٤٨.

(٢) الخضري ، المرجع السابق ، ص١٥ ،

(٣) رياض ، المرجع السابق ، ص٤٦٥.

(٤) الاسم الدارج لهذه الجماعة هو " الهوسا " بيد أن اللفظ الصحيح هو " الحوصا " أنظر : عبد الفتاح الغنيمي ، مراكز الحضارة الإسلامية في بلاد الهوسا ، مجلة الفيصل ، الرياض ، العدد٣٤، ربيع الثاني ١٤٠٠هـ) ص١١٥.

(٥) محمد بن علي السكاكر ، دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ودعوة الشيخ عثمان بن فودي ، دراسة تاريخية مقارنة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية العلوم الاجتماعية ، الرياض ١٤٠٧هـ ، ص٦ .

متعددة لا تنتمي لأصل واحد ؛ وإنما تربطهم لغة مشتركة [١] هي اللغة الحامية[٢] حيث استعملتها الكثير من القبائل نظراً لكونها أخف على اللسان ، إلى جانب أنها لغة الحكام [٣]. وإن كانت القبيلة الأساسية التي عرف بها اسم الهوسا بدايةً هي قبيلة تنتمي إلى البربر حيث هاجر بعض البربر الملثمين إلى المنطقة ، كما استقرت في المنطقة نفسها قبائل من البربر من غير الملثمين ؛ فعاش الفريقان جنباً إلى جنب ، وحصل بينهما تزاوج نتج عنه شعب سمي بـ " الهوسا" [٤]. وهذا الشعب يعيش في أحياء خاصة به. ويدين بالوثنية إلى أن دخل الإسلام تلك لمنطقة من قبل المرابطين ثم من قبائل الفولاني في القرن الثاني عشر من الهجرة / الثامن عشر من الميلاد [٥] .

ومما يجدر ذكره أن قبائل " الهوسا" تتركز في شمال نيجيريا مكونة سبع إمارات هي كانو، داورا، كاتسينا، زاريا، رانو، جوبير، بيرام، دارا، هذا عدا بعض الإمارات الفرعية [٦]. ويحكم كل إمارة من إماراتها حاكم يعاونه بعض الوزراء . ويحيط بكل من تلك الإمارات السبع سور كبير مبني من اللبن يحيط به خندق متسع تجري به المياه، وقد صمم من أجل الدفاع عن الإمارة وقت الخطر [٧] ،

(١) الألوري ، المرجع السابق ، ص١٣١.

(٢) ج. د. فيج ، تاريخ غرب أفريقيا، ترجمة السيد يوسف نصر ، مراجعة بهجت رياض ، (دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢م)، ص٣١.

(٣) الألوري، المرجع السابق، ص ١٣١.

(٤) الغنيمي، المرجع السابق، ص ١١٦.

(٥) شلبي، المرجع السابق، جـ ٦، ص ٣٥٧.

(٦) شاكر، المرجع السابق، ص ٥٧.

(٧) محمد جلال عباس ، المد الإسلامي في إفريقيا، (المختار الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٧٨م)، ص ٥٤.

ويبدو أن تلك الإمارات تتحالف فيما بينها وقت الخطر كما تتعاون مع بعضها البعض وقت السلم حيث تقوم بينهم علاقات تجارية حسنة.وتسود أنظمتهم الاجتماعية والاقتصادية جميع نيجيريا ، وهم زراع مهرة ، وتجار مغامرون [١]. ويتميزون بتحملهم التعب والمشقة ، وصبرهم على الشدائد [٢].

وهذه القبائل تعرضت لهجرات قبلية من شعب سمي بـ "الفولاني" الذي يرجح أنه استقر في بلاد التكرور منذ القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي. ويرى أكثر الباحثين أن هذا الشعب قدم من صعيد مصر، وهاجر غرباً عن طريق بلاد المغرب ثم انحدر إلى المحيط الأطلسي فاستقر بعضهم هناك بينما واصل البعض الآخر سيره إلى السنغال ثم إلى شمال نيجيريا حيث أسسوا لهم– فيما بعد- مملكة عرفت بمملكة الفولاني[٣].وهؤلاء يرون أن نسبهم ينتهي بعقبة بن نافع" الذي تزوج من ابنة ملك الفولانيين فنشأ نسل تجري في عروقه الدماء العربية [٤].

وتبدو ملامح الفولانيين بلونهم النحاسي الفاتح ، وشعرهم المستقيم ، وشفاههم الرفيعة ، وقامتهم المتوسطة . وقد اشتهروا بالرعي. كما ركزوا على نشر الدعوة الإسلامية بين القبائل التي سكنوا بقربها . وتفوقوا على سكان المنطقة بعمق الثقافة الإسلامية . واحتلوا مركزاً ثقافيًا هاماً بين سكان غرب أفريقيا[٥].

---

(١) فيج ، المرجع السابق ، ص٣١.

(٢) رياض، المرجع السابق، ص ٤٦٩.

(٣) حسن إبراهيم حسن، انتشار الإسلام في القارة الأفريقية، (مكتبة النهضة المصرية، ط٣، ١٩٨٤م)، ص ١١٧.

(٤) الألوري، المرجع السابق، ص ١٣٢.

(٥) عبد الله عبد الرزاق إبراهيم ، الإسلام والحضارة الإسلامية في نيجيريا ، (مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة، ١٩٨٤م، ص١٦.

ظهور الإسلام في نيجيريا :

اندفع الإسلام نحو أفريقيا منذ القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي وذلك حينما تمكن المسلمون من فتح مصر في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ت٢٣هـ/٦٤٣م) على يد القائد المسلم عمرو بن العاص (ت٤٣هـ/٦٦٤م) [١]. وفي عام (٤٩هـ/٦٦٩م) تولى عقبة بن نافع ولاية أفريقيا(تونس) بإذن من معاوية ابن أبي سفيان. وعندها بدأ التوسع نحو الغرب فبنى مدينة القيروان لتكون قاعدة للجند، وانطلقت بعدها الفتوحات الإسلامية في القارة الأفريقية.[٢]

على أن الفتوحات التي قام بها المسلمون لم تصل إلى منطقة نيجيريا وإنما انتشر الإسلام بها عن طريق هجرة القبائل العربية والبربرية من شمال أفريقيا ومن شرقها إلى تلك المنطقة ؛ فنشروا الإسلام في ربوعها.[٣] ويحدث أن تستقر قبيلة مسلمة قرب قبيلة وثنية فتدعوها للإسلام، وتجد مبادئ الإسلام صدى كبيراً في نفوس بعض تلك القبائل مما يدعوها للدخول فيه.[٤]

وتشير الدراسات التاريخية إلى أن طرق القوافل كانت أهم الطرق التي انتشر بها الإسلام في المنطقة وكان من أهمها[٥]:

١- الطريق الساحلي عبر حوض السنغال.

---

(١) أبو الحسن أحمد بن يحيى البلاذري (٢٧٩هـ) ، فتوح البلدان، مراجعة وتعليق رضوان محمد رضوان، (دار الكتب العلمية، بيروت. ١٩٧٨م)، ص ٢١٤.

(٢) أبو جعفر محمد الطبري(٣١٠)، تاريخ الأمم والملوك، (دار الفكر للطباعة والنشر. بيروت ،١٩٧٩م) ، جـ٦، ص ١٣٠.

(٣) الألوري، موجز، ص ٣٥.

(٤) عباس، المرجع السابق، ص ١٧.

(٥) حسن، المرجع السابق، ص ١١.

٢- الطريق الذي يبدأ من تونس متجهاً إلى المنطقة الواقعة بين النيجر وبحيرة تشاد.

٣- الطريق من طرابلس الغرب إلى المنطقة المحيطة ببحيرة تشاد.

والجدير بالذكر أن دولة المرابطين هي أول دولة وحدت المغربين الأقصى، والأوسط، وأسهمت في نشر الإسلام بساحل أفريقيا الغربي، وبلاد السودان.[١] وكانت البداية على يد المصلح عبدالله بن ياسين [٢] الذي جمع البربر، وسار بهم إلى جزيرة نهر السنغال حيث بنوا بها رباطاً، واتخذوه مقرًا لعبادتهم، وانطلاقًا لنشر الدعوة الإسلامية.

واختلف في مسمى كلمة "رباط" ؛ فهناك من يرى أنها مشتقة من كونها تعني مكان الانقياد. ومن هذا المسمى أيضًا اشتق اسم الدولة التي قامت بعد ذلك وهي دولة المرابطين. وهناك من يرى أن هذا الاسم أطلق عليهم نسبة إلى حدوث موقعة حربية بذلت فيها قبيلة لمتونة الصنهاجية جهداً كثيراً فأطلق عليهم عبدالله بن ياسين اسم المرابطين لصبرهم ووقوفهم في وجه أعدائهم.[٣] وقد قام المرابطون بدور كبير في نشر الإسلام بغانة[٤] منذ النصف الثاني من القرن الخامس الهجري / الحادي

---

(١) المرجع نفسه، ص ١٧.

(٢) من أصل مراكشي. تقابل في مكة عام ٤٣٢هـ/ ١٠٤٠م مع أحد رؤساء قبائل "الجودالا Godala" وكان يؤدي فريضة الحج، وهناك تناقشا حول تنقية العقيدة الإسلامية في غرب أفريقيا وعرض عليه الرئيس القدوم إلى أفريقيا لهذا الغرض فوافق. توفي عام هـ/١٠٦٦م.

فيج، المرجع السابق، ص٤٨

(٣) توماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة وتعليق حسن إبراهيم حسن، عبد الحميد عابدين، (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٠م)، ص ٣٥٤.

(٤) دولة استوائية تقع غرب القارة الإفريقية على خليج غينيا.عاصمتها أكرا.

عشر الميلادي وذلك حينما خضعت البلاد لحكمهم. وعلى الرغم من أن سيطرتهم على البلاد لم تستمر طويلاً إلا أن بعض القبائل هناك قد تأثرت بالإسلام ، وعملت من جانبها على نشره في المنطقة وكان من أبرز تلك القبائل قبيلة "السوننك Sonink". واستمر الوضع كذلك حتى قامت إمبراطورية مالي المسلمة في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي [١].

وتولت تلك الدولة نشر الإسلام في مناطق متعددة من القارة الأفريقية ، واستمرت في التوسع والرقي وضمت خمس ممالك هي : مالي، صوصو ، غانة، صنغى ، التكرور. وأسلمت على يدها جماعات من قبائل اليوربا ، والهوسا الأمر الذي ساعد على نشر الإسلام في أنحاء المنطقة [٢]

وبمرور الوقت تولى الحكم في مالي ولاة ضعاف ، فتعرضت البلاد لأخطار جسيمة، وغزاها جيرانها من كل جانب ، وهاجمتها قبائل " الموسي Mossi" الوثنية من الجنوب عند مصب النيجر ، كما هاجمتها قبائل "التكرور Takrur " من الغرب واستولت على أجزاء منها . في حين أخذت مدينة صنغى في التوسع على حساب الدولة التي أخذت في التداعي شيئاً فشيئا حتى انتهى الأمر بخضوعها لمملكة صنغى، وأُجبر ملكها على دفع مبلغ معين للسلطان "علي" حاكم صنغى دليل على التبعية والخضوع .وكان ذلك عام ٨٦٩هـ/١٤٦٤م[٣] .

وتطورت مملكة صنغى، وأصبحت لها السيادة على السودان الغربي . وكان

الموسوعة العربية العالمية ، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ، الرياض ،ط٢، ١٩٩٩م) ، جـ٢ ، ص٥٢.

(١) حسن عيسى عبد الظاهر، الدعوة الإسلامية في غرب أفريقيا وقيام دولة الفولاني ، (دار الثقافة والنشر، الرياض،ط٢، ١٩٨١م) ، ص ٩٦ .

(٢) أرنولد ، المرجع السابق ، ٣٥٦.

(٣) محمد عبد الله النقيرة ، التأثير الإسلامي في غربي أفريقيا ، (مطابع الفرزدق ، الرياض ، ١٩٨٨م) ص ٢٠٠.

من أشهر ملوكها " اسكيا محمد " الذي اتسعت البلاد في عهده لتشمل بلاد التكرور، وولايات الهوسا غربا . واستمرت دولة صنغى في تثبيت أقدامها في تلك الجهات. وبعد مضي ما يقارب القرن على قيامها أخذ الضعف يدب في أوصالها حتى عام٩٨٥هـ/١٥٩١م) حينما سيطرت عليها الدولة السعدية [١].

وعاشت ولايات الهوسا بعد سقوط صنغى عهداً فوضوياً اتسم بالحروب والمنازعات المستمرة بين ولايات الهوسا السبع . وكان ذلك ممهداً لظهور قوة الفولانيين بقيادة الشيخ عثمان بن فودي .

ظهور دعوة الشيخ عثمان بن فودي الإصلاحية

في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي وفي ظل تلك الظروف المضطربة التي كانت تمر بها منطقة غرب أفريقيا ظهر الشيخ عثمان بن فودي في إمارة "جوبير Gobir "[٢] وهي إحدى ولايات الهوسا التي تعمق فيها الإسلام . وكانت قد انقسمت على نفسها بعد سقوط مملكة صنغى وعاشت في صراع سياسي واقتصادي من أجل بسط النفوذ والهيمنة . ولم تكن إمارات الهوسا قادرة على مقاومة المفاسد التي كانت منتشرة بالمنطقة فأغلب المناطق المجاورة لها كانت لا تزال على الوثنية[٣] .

---

(١) عبد الفتاح الغنيمي ، حركة المد الإسلامي في غرب أفريقيا الحديث والمعاصر ، (مكتبة نهضة الشرق ، القاهرة ، ١٩٨٥م) ص١١٣.

(٢) كلمة فودي لقب فولاني بمعنى "العالم" ، وقد اكتسب والده هذا اللقب . ولد عثمان بن محمد بن فودي في مكان يدعى "Marata "بإمارة جوبير عام ١١٦٨هـ/١٧٥٤م . نشأ في بيت فقه وعلم .وتتلمذ على يد والده الشيخ محمد . قام برحلات عديدة لطلب العلم . أدى فريضة الحج ، وتعرف على دعوة الشيخ محمد عن كثب .توفي عام ١٢٣٢هـ/١٨١٧م . العنيمي ، حركة المد ، ص٢٠١- ٢١١.

(٣) المرجع نفسه، ص٢٠٠.

وهيأت تلك الأوضاع الدينية السيئة لبروز شعب الفولاني الذي اشتهر بالدعوة إلى الله. وقد ظهر منهم عدد من الدعاة الذين عملوا على رفع راية الإسلام في تلك الأقطار، ومحاربة البدع السائدة بين إمارات الهوسا من تقديس الأرواح ، وعبادة الأشجار والأحجار والأنهار، وتقديم القرابين وغير ذلك من الأمور الشركية.[1] وكان من بين هؤلاء الدعاة الشيخ محمد بن فودي والد الشيخ عثمان، فقد كان سيداً في قومه (بني عال) الذين كانوا أكثر عشائر الفولانيين عدداً ، كما كانوا أقواهم وأشهرهم إسلاما في تلك المنطقة. وكان عالماً من علماء بلدته ومن أهل الفتيا ؛ فشب عثمان في تلك البيئة المتدينة، ونشأ نشأة صالحة، وبدأ يتلقى دروسه الأولى في اللغة العربية والعلوم الإسلامية وحفظ القرآن الكريم وهو صغير. ثم انتقل مع أسرته إلى بلده " دغل"Degel " إحدى قرى إمارة جوبير. وهناك تزود من علوم اللغة العربية على يد الشيخ عبد الرحمن بن حمدّا، وسمع الفقه من خاله الشيخ محمد ثنب بن الشيخ عبدالله[2] ثم رحل إلى إمارة " زنفر " من إمارات الهوسا حيث درس التفسير و الصحيحين.[3]

ولم يكتف الشيخ بما تحصل عليه من علم وإنما رغب في الاستزادة من العلوم الدينية ولم يكن يتجاوز العشرين من عمره ؛ فرحل شمالاً إلى بلاد الطوارق جنوب الصحراء الكبرى وفي مدينة " أغاديسAgades " ذات المكانة الدينية الإسلامية تعلم على يد الشيخ جبريل بن عمر وكان رجلاً من أتباع الطريقة

(١) المرجع نفسه، ص ١٠١ – ١٠٣

(٢) هو من علماء الفولاني المشهورين ، خرج إلى الحج ، وأقام هناك سنوات عديدة . ثم عاد على بلاده وما لبث أن توفي بها عام ١٢٠٧هـ/ ١٧٩٢م ، السكاكر ، المرجع السابق ، ص١٥٠.

(٣) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

القادرية الصوفية ، [1] وهناك اطلع على أمور إسلامية جديدة، وتأثر بما كان يدعو إليه شيخه جبريل من العودة إلى التعاليم الإسلامية الصحيحة ونبذ ما يخالف القرآن والسنة. [2] وبقي الشيخ ما يقارب العام إلى جوار العالم الجليل ينهل من علمه، ويجتهد في التعلم حتى أجاز له الشيخ جبريل جميع مروياته عنه. [3]

وكان ما سمعه الشيخ عثمان من شيخه جبريل بوجوب نشر الدعوة الإسلامية الصحيحة دافعاً له لنشر الدعوة في إمارته "دغل" لإيقاظ الناس هناك من غفوتهم، وتعليمهم المبادئ الإسلامية على الأسس الصحيحة.

مبادئ دعوته :

كان لابد للشيخ من أن يبرز الأسس التي تقوم عليها دعوته ؛ فقد وضح عقيدته الإسلامية، والمذهب المالكي الذي ينتمي إليه، كما اهتم بشرح العبادات، وإرشاد الناس لكل ما يهمهم من أمور دينهم، وتأدية عباداتهم الإسلامية على الوجه الصحيح. واستخدم في ذلك جميع الوسائل الفكرية والعملية للدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة. فقد كان مجتمعه - في غالبيته - من الجهال الذين يجهلون التعاليم الإسلامية الصحيحة ؛ لذا ركز على دعوتهم إلى التوحيد الخالص

---

(١) تنتسب الطريقة القادرية إلى الشيخ عبد القادر بن موسى بن عبد الله الجيلاني . ولد في مدينة (جيلان) عام ٤٧١هـ/ ١٠٧٧م انتقل إلى بغداد وتتلمذ على يد علمائها اتصل بعلماء الفقه و التصوف ، وبرع في أساليب الوعظ والإرشاد. اشتغل بالتدريس ثم مال إلى التصوف فلجأ إلى الخلوة . عرف بالتسامح الديني والجمع بين العلم والعمل انتشرت طريقته في السودان الأوسط وفي بلاد الهوسا توفي عام ١١٦٦هـ ودفن ببغداد . إبراهيم ، المرجع السابق ، ص ٢٥ .

(٢) محمد كمال جمعة، انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب خارج الجزيرة العربية ، (دارة الملك عبد العزيز ، الرياض، ١٩٧٧م) ، ص ١٠٠ ، الغنيمي ، حركة المد، ص ٢٠٢.

(٣) السكاكر ، المرجع السابق ، ص١٥١.

لله سبحانه وتعالى ، والبعد عن الشرك. وحض على الالتزام بسنة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، وترك البدع والأهواء ، وجعل حقيقة التصوف تعود لصدق التوجه إلى الله ، والاقتداء بسنة رسوله محمد عليه أفضل الصلاة والسلام.[1]

انتشار الدعوة :

عاد الشيخ عثمان بن فودي من رحلته العلمية وكله حماس لتطبيق دعوته الإصلاحية في منطقة غربي إفريقيا عامة، وإمارات الهوسا خاصة ؛ فلم يكتف بدعوة الناس في قريته إلى المنهج الإسلامي الصحيح ؛ وإنما حرص على نشر تلك الدعوة في الولايات المجاورة لـ"دغل " ، وأخذ يلقى المواعظ والدروس في إمارتي "كيبي kebbi " ، وجوبير ثم انتقل إلى زمفارا"zemfara"وبقي فيها لمدة خمس سنوات [2] يلقى الدروس ويعلم العلوم وينصح المسلمين ويدعو إلى وحدتهم وتكاتفهم ، والعمل بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله. وقد استخدم الشيخ أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة في تعليم الناس وتوجيههم الوجهة الإسلامية الصحيحة. وساعده على ذلك فهمه العميق لطبيعة مجتمعه ، ومعرفته الدقيقة بالأوضاع الاجتماعية والسياسية السائدة في بلاد الهوسا. وقد ساانده في هذا الجهد أخوه الأصغر عبدالله، وابنه محمد. وكانت النتيجة أن زادت شهرته، وكثر أتباعه وهاجر إليه عدد كبير من المسلمين مستمعين لوعظه ومقتدين بسلوكه.[3] وحينما رأى أمير جوبير ويدعى "باوا Bawa " ذلك الانتشار السريع لدعوة الشيخ عثمان

(١) السكاكر ، المرجع السابق ، ص١٦٩- ١٧٣.

(٢) جمعة ، المرجع السابق ، ص ١٠٠ .

(٣) أحمد محمد كاني ، الجهاد الإسلامي في غرب أفريقيا ، (الزهراء للإعلام العربي . القاهرة .١٩٨٧م) ، ص ٧٣ .

حاول التقرب منه في بداية الأمر بهدف إسكاته، وإيقاف دعوته باللين. وبالمقابل عمل الشيخ على دعوته للإسلام. وهنا أدرك الأمير قوة الشيخ وصلابته فأحس بخطورة الموقف، وأخذ يستميل الشيخ بالأموال، غير أن الشيخ لم يستجب.[1]

وحاول الشيخ من جانبه إقناع الأمير بتقديم امتيازات له ولأتباعه، ونجح في ذلك عام ١٢٠٢هـ/ ١٧٨٨م وكانت مطالب الشيخ تتلخص في الآتي: [2]

١- حرية التجول في البلاد للدعوة إلى الله .

٢- عدم التعرض لمن يريد الاستجابة لدعوة الشيخ .

٣- إطلاق سراح المسجونين السياسيين .

٤- عدم فرض ضرائب باهظة على الرعية .

٥- توقير كل عالم يلبس العمامة.

وقد وافق الأمير على تلك المطالب على الرغم من إدراكه بأن تلك الموافقة قد تكون دافعاً لانتشار الدعوة. ولكن ربما كان الأمير يخشى من أن تتطور الأمور بينه وبين الشيخ إلى حرب لم يكن مستعداً لها ولهذا وافق على مضض؛ خاصة وأن الأمير كان يرى أن هدف الشيخ عثمان من الدعوة هو العلم والتعليم فقط دون طمع بمنصب أو سلطان.[3] وربما كانت موافقة الأمير من أجل انتظار فرصة ملائمة للقضاء عليه بهدوء.

على أي الأحوال فقد كانت تلك الموافقة نقطة انطلاق لدعوة الشيخ عثمان بن

---

(١) المرجع نفسه، ص ٧٦.

(٢) يحيى بوعزيز ، تاريخ أفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين، دار هومه للنشر، الجزائر، ٢٠٠١م، ص ١٤٤ – ١٤٥.

(٣) جمعة ، المرجع السابق ، ص١٠٠.

فودي، وأول انتصار دبلوماسي له، في حين أن المتاعب الاقتصادية والاجتماعية لفلاحي الهوسا قد دفعت بالكثيرين منهم إلى الانضمام للشيخ أملاً في تحسين أوضاعهم، [١] فانتشرت دعوته انتشاراً كبيراً الأمر الذي جعل الأمير "باوا" يعقد العزم على التخلص من الشيخ ورفاقه سراً. ولكن الأمير تراجع في نهاية الأمر عما عزم عليه، وربما كان كبر سنه (٧٥ عاماً) قد دفعه للعدول عن هذا الأمر [٢] خاصة وأن قتل الشيخ قد يؤدي إلى تزعزع حكمه.

استمرت الأوضاع في الولاية على تلك الشاكلة ، وأتباع الشيخ في تزايد حتى عام ١٢٠٨هـ /١٧٩٤م حينما توفي الأمير "باوا" ، وتسلم الحكم من بعده الأمير نافات (Nafat) الذي قرر أن يقف بحزم أمام دعوة الشيخ فأصدر القرارات الآتية : [٣]

١- عدم السماح لأحد باعتناق الإسلام إلا من ورثه عن أهله.

٢- منع العلماء من الدعوة إلى الإسلام باستثناء الشيخ عثمان بن فودي.

٣- منع لبس العمامة للرجال ، والخمار للنساء.

ويبدو أن الأمير كان يهدف من وراء تلك القرارات إلى تحجيم دعوة الشيخ دون الاصطدام به، ومما يدل على ذلك استثناء الأمير للشيخ عثمان فيما يتعلق بمنع العلماء من الدعوة إلى الإسلام.

وعلى كل فإن تلك القرارات لم تنفذ إذ ما لبث الأمير نافات أن توفي بعد فترة وجيزة من ذلك الإعلان، وتسلم زمام الحكم من بعده الأمير " ينف ynf" الذي

(١) جمعة ، المرجع السابق ، ص ١٠٠- ١٠١.

(٢) إبراهيم ، المرجع السابق ص ٤٠ .

(٣) كاني ، المرجع السابق ، ص ٧٨.

اشتهر بعداوته للشيخ وأتباعه، وعزم على وضع نهاية حاسمة للدعوة الإسلامية باستخدام السلاح للقضاء عليها وعلى أتباعها؛ فشن حملة تأديبية ضد مجموعة تابعة للشيخ وهي جماعة" عبد السلام "الذي كان يرابط في مدينة " غمبنا Gimbana"وكانت النتيجة قتل عدد من الفقهاء والقراء في نهار رمضان، ونهب ممتلكاتهم.[١]

كانت ردة فعل الشيخ عثمان عنيفة إذ قرر المواجهة خاصة وأنه تنامى إلى علمه بأن الأمير يخطط لاغتياله ، هذا إلى جانب أن الشيخ عبد السلام كان قد تمكن من الهرب مع بعض رفاقه واحتمى بالشيخ عثمان. وطالب الأمير بتسليمه فرفض الشيخ عثمان، [٢] وهنا اعتبر الأمير أن هذا التصرف من جانب الشيخ تحدياً له، وتجرؤاً على سلطانه. وعلى أثر تلك الحادثة حدثت فجوة بين الشيخ والأمير جعلت التفاهم بينهما أمراً صعباً؛ فطلب الأمير من الشيخ أن يخرج وحيداً من قرية " دغل " وهي القرية التي كان يعيش بها الشيخ، وتتبع في الوقت نفسه لسلطة الأمير. غير أن رد الشيخ كان حازماً فقد أبلغه أنه لن يتخلى عن جماعته وإن اضطر للرحيل فسيرحل مع جماعته، ولن يخرج وحيداً بأي حال.[٣]

وحينما وجد الشيخ عثمان أن العلاقة بينه وبين الأمير"ينف " قد ساءت إلى هذا الحد قرر الرحيل ومعه جماعته إلى إمارة " قُد Gudu " وكان ذلك عام ١٢١٦هـ/ ١٨٠٢م. وبين لأتباعه أن الهجرة من بلاد الكفر والبدعة أو المعصية واجبة كتاباً وسنةً وإجماعا. ولم يكتف الشيخ بتبيين حكمها بل شجع عليها.[٤] في حين أمر

(١) إبراهيم، المرجع السابق ، ص ٧٨- ٧٩ .

(٢) المرجع نفسه، ص ٤٣.

(٣) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

(٤) محمد بن علي السكاكر ،محمد بل والدولة الصكتية في عهده ١٢٣٢- ١٢٥٣هـ/١٨١٧- ١٨٣٧م ، (رسالة دكتوراه ، كلية العلوم الاجتماعية ، الرياض، ١٤١٥هـ)، ص٢٠.

أمير جوبير حكام الولايات التابعة له بالقبض على من بقي من أتباع الشيخ وقتلهم، ومصادرة أموالهم.[١]

إعلان الجهاد وبداية تأسيس دولة:

أدرك الشيخ أن الخطوة الأولى في مراحل جهاده هي الابتعاد عن الحكام وأهل السطوة لأن البقاء تحت سلطتهم قد يؤدي للرضوخ لجبروتهم، وبالتالي ستقل مكانته في أعين مؤيديه خاصة وأن الشيخ كان يرى أن إقامة الدولة الإسلامية عبء يقع على العلماء المجاهدين الذين تشبعوا بروح الإسلام وتعاهدوا على نصرة الدين الإسلامي.[٢] بينما استمر من مقره الجديد في نشر دعوته بتلك المنطقة. وأدرك أمير جوبير خطأه إذ أن خروج الشيخ سيدعم نفوذه، في حين أن وجود الشيخ بالقرب منه أمر تسهل معه مراقبته والحد من نشاطه الدعوي؛ ولهذا فقد أرسل الأمير إلى الشيخ عثمان خطاباً يلتمس منه العودة إلى قريته "دغل". ورد عليه الشيخ برسالة لخّص فيها شروط العودة بالتالي:[٣]

١- أن يعلن الملك توبته، ويخلص دينه لله عز وجل.

٢- أن يحكم بالعدل.

٣- أن يرد جميع ما سلبه من جماعة الشيخ، وأتباعه.

٤- أن يطلق سراح جميع الأسرى الذين أسرهم من جماعة الشيخ.

حينما اطلع الأمير "ينف" على فحوى هذه الرسالة قرر أن يستخدم القوة العسكرية للقضاء على دعوته. بينما عمل الشيخ من جانبه على توطيد أموره في

(١) إبراهيم، المرجع السابق، ص٤٤.

(٢) كاني، المرجع السابق، ص ٨٣- ٨٤.

(٣) السكاكر، محمد بل، ص٢١.

الإمارة الجديدة التي انتقل إليها " قُد" وشرع في مراسلة الحكام القريبين منه. ولكنه واجه رفضاً شديداً من بعضهم على اعتبار أن ما يدعو إليه من إقامة نظام جديد يحتكم فيه إلى شرع الله هو أمر ضد التقاليد التي نشأوا عليها. ولم يكتفوا بالرفض، فعمل عدد منهم على محاربته، في حين اكتفى البعض الآخر، بالسخرية والاستهزاء منه ومن جماعته.[1]

من ناحية أخرى لقي الشيخ عثمان من شيخه جبريل دعماً وتأييداً وذلك حينما عاد الشيخ الجليل من رحلته إلى الحج عام ١٢١١هـ/١٧٩٧م وأطلعه الشيخ عثمان على فحوى دعوته ؛ فحثه الشيخ جبريل على بذل المزيد من الجهود لتنقية المجتمع من الشرك . كما أخبر الشيخ عثمان بما شاهدة في مكة . وحدثه عن التقائه هناك ببعض المشائخ من أنصار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وما اطلع عليه من كتب ألفها الشيخ محمد وتأثر بها الشيخ جبريل.[2]

وأتيحت الفرصة للشيخ عثمان بعد ذلك فأدى فريضة الحج عام ١٢٢٠هـ / ١٨٠٦هـ،[3] وهناك خالط أنصار الشيخ محمد واستمع إليهم واطلع على العديد

---

(١) المرجع نفسه ، ص ٨٥.

(٢) جمعة، المرجع السابق، ص١٠٠.

(٣) يشكك بعض المؤرخين في مسألة أداء الشيخ عثمان لفريضة الحج على اعتبار أنه لم يوردها في مؤلفاته ،كما وأنه لم يتمكن من مرافقة شيخه جبريل عام ١٢١١هـ/١٧٩٧م لأن والده لم يأذن له بذلك. وأضاف الباحث محمد بن علي السكاكر (١٤٠٧هـ)، ص٢٧٣ على ذلك بقوله " والحقيقة أن الشيخ عثمان قد انتقل إلى رحمة الله قبل أن يؤدي فريضة الحج " ولكن السكاكر لم يشر إلى الدلائل التي بنى عليها تلك الحقيقة وهي عدم أداء الشيخ للركن الخامس من أركان الإسلام وهو الحج والذي يُستبعد أن يغفله الشيخ من حساباته ؛ لاسيما وأنه كان بمقدور أهل تلك البلاد القيام به فشيخه الجليل جبريل قد أداه أكثر من مرة، كما أن عبد الله بن فودي "أخو الشيخ "قد أشار في كتابه " تزيين الورقات " إلى رحلة

من الكتب والشروح التي ألفها الشيخ محمد وفيها رسالة كشف الشبهات (أصول الإيمان) ، المسائل التي خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية، فضل الإسلام ، نصيحة للمسلمين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، رسالة في أن التعليم جائز لا واجب ، كتاب الكبائر . وقد تأثر بهذه الكتب ورغب في محاربة البدع المنتشرة في بلاده. وقرر أن يسير على خطى المصلح الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأن يعلنها ثورة على المفاسد التي كان يراها في بلاد الهوسا بهدف إيقاظ المسلمين هناك من غفوتهم. وقد بقي الشيخ عثمان حوالي العام متنقلا بين مكة والمدينة حريصاً على الاستزادة من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.[1]

وبصورة عامة فقد ركز الشيخ عثمان فيما بين عامي (١٢١٨- ١٢٢٣هـ/ ١٨٠٤ – ١٨٠٩م) على تأسيس دولة إسلامية في تلك المنطقة فاتخذ من مدينة "قُد"مركزاً له، وبايعه أنصاره فحمل لقب أمير المؤمنين ، وإن كان يحمل لقب خليفة في بعض الأحيان[2]. وعين الوزراء ، وقادة الجيش . كما قرر أن يعلن الجهاد المسلح فكانت تلك البيعة بداية الجهاد ، كما كانت بداية تأسيس الدولة الإسلامية.

وقد أصدر الشيخ وثيقة عرفت باسم " وثيقة أهل السودان" تضمنت سبعة وعشرين بنداً وضح فيها المنهج الإسلامي الذي سوف يسير عليه ،وأنه مستمد من الكتاب والسنة باعتبارهما أهم مصادر التشريع الإسلامي. كما حدد الأسس التي بنى عليها مسألة الجهاد مثل الهجرة من بلاد الكفار، واهتم أيضا بالأمر

الشيخ للحج (انظر : جمعة، المرجع السابق ، ص١٠٨) حيث قال : "بدأ الشيخ بعد عودته من الحجاز يدعو الناس إلى دين الله ويحثهم على ترك عاداتهم المخالفة للشرع..." .

(١) الغنيمي ، حركة المد ، ص٢٠٣.

(٢) إبراهيم ، المرجع السابق ، ص ١٣٨.

بالمعروف والنهي عن المنكر. وقد أعلن الشيخ في تلك الوثيقة الحرب على الكفار والوثنيين.[1]

وواجه الشيخ ردة فعل عنيفة ممن حوله من الحكام ، وخاصة من أمير جوبير الذي تزعم جبهة المعارضة ضد الشيخ وأتباعه. وصارت الحرب وشيكة بين الطرفين. وقد وقعت أول معركة بينهما عام ١٢١٩هـ/ ١٨٠٥ م وهي معركة "غنغ Genego " انتصرت فيها قوات الشيخ، وعادت إلى معسكرها في "جودو " سالمة. وتعد تلك المعركة من المعارك الهامة إذ استطاع جيش الشيخ أن يبرز قوته أمام أعدائه، وأن يقتل منهم عدداً ويأسر آخرين. ونتج عن تلك المعركة إضعاف الروح المعنوية لدى الأعداء، وكذلك نقل ميدان القتال القادم بعيداً عن معسكره.[2]

وأراد أمير "جوبير "الانتقام؛ فاستعان بأمراء الإمارات المجاورة مثل "كاتسينا " و"كنو" و " زاريا" و"دورا " وطلب منهم المساعدة ضد الشيخ عثمان؛ فلبوا دعوته وخرجوا جميعاً لملاقاة الشيخ وأتباعه. والتقى الطرفان في العام نفسه بمكان يقال له "كتوا Katawa ". ودارت معركة عنيفة تحقق فيها النصر للقائد عبدالله - أخي الشيخ- وجيشه على الأمير جوبير وقواته. وكان جيش الشيخ يتألف في معظمه من الفولانيين وعدد من قبائل الهوسا. وتعد تلك المعركة من المعارك الفاصلة إذ فر الأمير "ينف " أمير جوبير بعد أن قُتل الكثير من جيشه .ومع ذلك فلم يكن ذلك النصر نهائياً، إذ أعاد الأمير" ينف " تنظيم قواته من جديد وتجدد القتال بين الطرفين ومُني أتباع الشيخ بهزيمة في معركة " تونو Tono " فقد فيها الشيخ حوالي

(١) المرجع نفسه ، ص ١٣٨ – ١٣٩ .

(٢) السكاكر ، دعوة الشيخ ، ص٢٥.

ألف شهيد من أنصاره.[١]

غير أن تلك الهزيمة لم تثن الشيخ وأتباعه عن مواصلة الجهاد إذ ما لبثوا أن استعادوا قوتهم وصمدوا وتمكنوا من السيطرة على إمارة " كيبي kebbi " واتخذوها قاعدة دائمة لهم.[٢] وتوالى بعد ذلك سقوط إمارات الهوسا في أيدي أتباع الشيخ حتى تمكن الشيخ عام ١٢٢٢هـ/ ١٨٠٨م من دخول عاصمة إمارة جوبير وهي القاضاوا "Alkadawa "[٣] وعندها تم قتل أمير جوبير مع عدد من أتباعه. وانتهت بذلك مقاومة الوثنيين في تلك المنطقة.[٤]

وبسقوط "القاضاوا " خضعت إمارة جوبير للشيخ عثمان ، وصارت تحت حكمه. وأدرك حكام بلاد الهوسا أن مصير الأمير "ينف " ينتظرهم فقرروا المسالمة والكف عن القتال. وأخذت بقية إمارات الهوسا تخضع للشيخ إن سلماً أوحرباً.[٥]

ولقي سقوط العاصمة " القاضاوا" صدى كبيراً لدى القبائل التي أخذت تتوافد على الشيخ من كافة المناطق تعلن دخولها في الإسلام وانضمامها لدولة الشيخ عثمان. ولم يأت عام ١٢٢٧هـ/١٨١٢م إلا وقد خضعت جميع بلاد الهوسا لحكم الشيخ عثمان الذي أقام دولة إسلامية في غربي أفريقيا هي " الدولة الصكتية The Sokoto State " التي اتخذت من مدينة " سكوتو Sokoto " عاصمة لها[٦]. وعين ولاة مسلمين على ولاياتها يخضعون للسلطة الرئيسة فيها . وحرص على

(١) إبراهيم ،المرجع السابق ، ص ١٣٩.

(٢) جمعة ، المرجع السابق ، ص ١٠٢.

(٣) السكاكر ، محمد بل ، ص ٢٤.

(٤) إبراهيم ، المرجع السابق ، ص ١٣٩.

(٥) السكاكر، محمد بل، ص٢٤.

(٦) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

تطبيق تعاليم الدين الإسلامي، ونشره في المنطقة؛ فانتشر الإسلام في تلك الجهات، ودانت لهم قبائل شمال نيجيريا وطُبقت بها التعاليم الإسلامية، كما طبق الفقهاء هناك الشريعة الإسلامية السنية على مذهب الإمام مالك. وقد تأصلت تلك الدعوة وترعرعت على أيدي الدعاة والفقهاء والتجار والمعلمين، فانتقلت إلى مناطق أخرى في وسط أفريقيا وغربها.[1]

وبعد أن اطمأن الشيخ إلى تأسيس دولته، وانتشار دعوته، واستقرار أوضاعه قرر أن يتخلى عن العمل السياسي ويتفرغ للدعوة والتدريس،[2] فعهد بأمور الدولة إلى أخيه عبدالله، وابنه محمد. فتولى أخوه إدارة غربي البلاد بينما تولى ابنه إدارة شرقيها، في حين ظل هو قائداً للجميع.[3]

وفاة الشيخ عثمان :

توفي الشيخ عثمان ليلة الاثنين لثلاث مضت من شهر جمادى الآخرة سنة ١٢٣٢هـ / ٢٠ أبريل ١٨١٧م. ودفن في "سوكوتو" ولا يزال قبره مزاراً هناك، وبلغ عمره حين وفاته ثلاثاً وستين سنة وخمسة أشهر، ومدة خلافته ثلاث عشرة سنة وسبعة أشهر.[4]

وبعد وفاة الشيخ خلفه ابنة "محمد بل" الذي حرص على تدعيم سلطته، وتثبيت أركان الدولة الإسلامية التي أقامها والده. واستمر حكم أبناء الشيخ وأحفاده حتى عام (١٣٢٠هـ/ ١٩٠٣م) حينما غزا البريطانيون المنطقة وزحفوا

(١) إبراهيم، المرجع السابق، ص ١٥٠.

(٢) جمعة، المرجع السابق، ص ١٠٢.

(٣) بو عزيز- المرجع السابق، ص ١٤٨.

(٤) السكاكر، دعوة الشيخ، ص٢٣٥.

على مدينة سوكوتو فدار صراع عنيف بينهم وبين الخليفة الطاهر بن أحمد بن عتيق بن عثمان إلى أن سقطت سوكوتو في أيدي البريطانيين في العام نفسه. وعندها خضعت المنطقة للاحتلال البريطاني، وفر الخليفة الطاهر من البلاد على أمل أن يستعيد نفوذه مجدداً غير أنه ما لبث أن قتل.[1] وأصبحت السلطة بيد القائد البريطاني "لوجارد lugard " الذي أراد أن يكسب السكان فوعدهم بعدم التدخل في شؤونهم الدينية، وأبقى على أوضاعهم المحلية حتى تمكن من الإمساك بزمام الأمور ثم أخذ يمارس نفوذه الاستعماري في التضييق على المسلمين، والعمل على إضعافهم. ومع ذلك فقد استمر الوجود الإسلامي في مناطق واسعة من غربي أفريقيا وإن تأثر كثيراً بالاستعمار.[2]

مؤلفات الشيخ عثمان:

لقد ترك الشيخ عثمان مؤلفات عدة تزيد على مائة وأربعين مؤلفا، ويدخل ضمنها جميع ما تركه من رسائل وأوراق كتبها للعلماء في بلاد الهوسا، كذلك القصائد التي نظمها في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم. ومدح مشايخه ونحو ذلك. وقد وضح في تلك المؤلفات آراءه الاجتهادية ودروسه العلمية؛ فجاءت مؤلفاته مرشداً للناس في عالم الجهل والخرافات، وينبوعاً للعلم والمعرفة، والثقافة الإسلامية. ومصدراً للفتوى والتشريع. كما اتخذت تلك المؤلفات رداً على الافتراءات التي كانت تثار حول دعوته. وتُظهر لنا تلك المؤلفات عمق ثقافة الشيخ، وبلاغته.كما تُبين سعة اطلاعه على الأحاديث النبوية الشريفة، وآراء الأئمة الأربعة، وآراء الأئمة المشهورين في غرب أفريقيا مثل الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت٩٠٩ هـ / ١٥٠٣م وكذلك الإمام جلال الدين السيوطي

(١) بوعزيز، المرجع السابق، ص ١٥١.

(٢) جمعة، المرجع السابق، ص ١٠٣- ١٠٤.

(ت٩١١هـ/١٥٠٥م)، وغيرهم. وقد تجلى لنا حرص الشيخ على إبراز أهدافه من خلال مؤلفاته؛ فظهرت تلك المؤلفات داعيةً لإصلاح أحوال العلم والعلماء، وتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، وتصحيح الإيمان في نفوس المسلمين، وتبصيرهم بأمور دينهم. وقد تنوعت مؤلفات الشيخ فشملت عدة نواح دينية وسياسية واجتماعية وإن حظيت الموضوعات الدينية بالنصيب الأكبر من اهتماماته نظراً لأن دعوته الإصلاحية جاءت في هذا الاتجاه، وبرز اهتمام الشيخ بإحياء السنة، وإخماد البدعة.[١] وقد ألفت كتب الشيخ باللغتين العربية والفولانية،[٢] وترجم البعض منها إلى اللغتين الإنجليزية، والفرنسية، مع وجود بعض المؤلفات التي لا تزال مخطوطة.[٣] كما وأنه قد ترجم معاني القرآن الكريم إلى لغة الفولاني ليسهل فهمها وليتمكن الشعب الفولاني من تدبر القرآن الكريم وفهم معانيه.[٤] ومن أهم مؤلفاته كتاب "إحياء السنة وإخماد البدعة"، وقد تضمن هذا الكتاب ثلاثة وثلاثين باباً دارت جميعها حول أمور العقيدة، وأصول الدين.[٥] كذلك كتاب" وثيقة أهل السودان "وفيه ركز الشيخ على مسألة اختيار المسلمين لأمير المؤمنين. وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللغة الإنجليزية.[٦] كما ألف كتاب " نور الألباب" الذي حث فيه على تعليم النساء وكذلك العبيد ومعاملتهم بالحسنى. وقد ترجم الكتاب إلى اللغة الفرنسية[٧].كذلك له مؤلفات أخرى منها: "حصن الأفهام من جيوش الأوهام"، و "نصيحة أهل الزمان"، و" نجم الإخوان يهتدون

(١) الجمل ،المرجع السابق ، ص١٤٣- ١٤٤.

(٢) السكاكر، دعوة الشيخ ، ص١٥٨.

(٣) جمعة ، المرجع السابق ، ص١٠٤.

(٤) بوعزيز ، المرجع السابق ، ص١٤٧.

(٥) الجمل ، المرجع السابق ، ص ١٤٤.

(٦) جمعة ، المرجع السابق ، ص ١٠٤.

(٧) بوعزيز ، المرجع السابق ، ص١٤٧.

بـه بـإذن الله تعـالى في أمـور الزمـان "، و "أصـول الـدين "، و "ضـياء الـسياسات"، و"فتاوى النـوازل في فـروع الـدين مـن المسائل"[1]، و"الأمـر بـالمعروف والنهـي عـن المنكر"، و"الفرق بين ولاية أهل الإسـلام وبـين ولايـة أهـل الكفـر "، و"بيـان البـدع الشيطانية التي أحدثها الناس في أبواب الملة المحمدية "[2].

مدى تأثر عثمان بن فودي بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب:

ينتسب الشيخ محمد بن عبد الوهاب بـن سـليمان التميمـي إلى أسـرة آل مـشرف مـن آل وهبـة مـن قبيلـة تمـيم. وقـد اشـتهرت أسـرته بـالعلم. ولـد الـشيخ محمـد عـام ١١١٥هـ/١٧٠٣م في بلدة العيينة بنجد، وكان والده قاضياً بها على مذهب الإمام أحمد بن حنبل؛ فنشأ الشيخ في بيئـة دينيـة مكنتـه مـن أن يحفـظ القـرآن قبـل بلوغـه العاشرة من عمره. اطلع على كتب الفقه، والتفسير، والحـديث، والتوحيـد. وقـام برحلات عديدة مـن أجـل العلـم؛ فـزار الحجـاز والبـصرة والأحـساء. واطلـع علـى أمـور عديـدة تتعلـق بالعقيـدة، وقـضية التوحيـد والـشرك. كمـا نـاقش عـدداً مـن العلماء، وعاد في نهاية المطاف إلى نجد منهياً بذلك رحلاته العلمية.[3]

وقد حرص في نجد على تغيير ما كان يـراه مـن أعمـال منافيـة للـشرع؛ فانقـسم النـاس حـول دعوتـه إلى فـريقين: مؤيـد ومعـارض. وكـان المؤيـدون أقـل مـن المعارضين. وقد ألف الشيخ محمد وهو في حريملاء كتاب " التوحيـد الـذي هـو حـق الله على العبيد. " وانتشر ذلك الكتاب انتشاراً واسعاً.[4]

---

(١) الجمل، المرجع السابق، ص ٤٤.

(٢) السكاكر، دعوة الشيخ، ١٥٨- ١٦٠.

(٣) عبد الله بن عبد الرحمن بن بسام، علماء نجد خلال ستة قرون، (مطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ١٣٩٨هـ)، جـ١، ص ٢٥- ٤٧.

(٤) عبد الله الصالح العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، (الرياض، ١٤٠٤هـ)، جـ١، ص٦٩.

وكانت أبرز الأسس التي ارتكزت عليها دعوته إفراد الله وحده بالعبادة لا شريك له، ومحاربة الشرك بأنواعه، والقضاء على جميع الأمور الموصلة إليه، ونبذ البدع في الدين، وتطبيق الشريعة الإسلامية في جميع مناحي الحياة في ظل دولة قادرة على تحقيق تلك الأهداف. وعليه فقد كان لابد للشيخ محمد من أن يستند إلى قوة سياسية تتيح له تحقيق أهدافه. وجاءته الفرصة حينما واجه أمير العيينة ضغطاً من قبل زعماء بني خالد في الأحساء لإخراج الشيخ من البلاد؛ فكان أن رحب به أمير الدرعية ووعده بالحماية والتأييد. وهكذا بدأ الاتفاق بينهما من أجل نصرة الدين، ونشر الدعوة الإصلاحية. وكان ذلك الاتفاق عام ١١٥٧هـ /١٧٤٤م هو الأساس الذي قامت عليه دولة جديدة في المنطقة هي الدولة السعودية الأولى.[١]

ومن خلال سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب يرى عدد من المؤرخين[٢] أن الشيخ عثمان بن فودي قد تأثر بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية. ومن شكك في هذه المسألة فقد نظر إليها على اعتبار أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب كان حنبلياً يحارب الصوفية بينما كان الشيخ عثمان مالكياً ينتمي للطريقة القادرية الصوفية.[٣] ويعلق الدكتور كمال جمعة على مسألة اعتناقه للطريقة القادرية بقوله[٤] " استبعد أن يكون الشيخ متبعاً للطريقة القادرية على نحو ما كان

---

(١) المرجع نفسه، الجزء نفسه، ص٨٥.

(٢) ومنهم: أرنولد، المرجع السابق، ص٣٦٠، حسن، المرجع السابق، ص١١٩، شلبي، المرجع السابق، ج٦، ص٢٨٥، ص٢٨٥، الغنيمي، حركة المد، ص٢٠١.

(٣) إبراهيم، الإسلام، ص ٣٧.

(٤) المرجع السابق، ص ١٠٩.

يفعل معتنقوها من القوم، لأن هذه الطريقة هي من عمل بعض رفاق الشيخ عبد القادر بعد وفاته .... ثم إن الطريقة القادرية الصوفية اشتهرت بأسلوبها المسالم، والاكتفاء بالدعاء للناس بالهداية ... ونحن نعلم أن الشيخ عثمان بن فودي قد دعا وقاد، هو ورفاقه، جهاداً مسلحاً ضد الوثنيين، وضد البدع ".

والذي يظهر لي أن الشيخ عثمان وان قيل أنه كان قادرياً إلا أن ذلك التأثر بتلك الطريقة ربما يكون قد انتهى بعد تأثره بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وإن بقي لها تأثير محدود على كتابات الشيخ عثمان ؛ لاسيما وأن توجهاته الدينية في الجهاد ومحاربة البدع والخرافات تبرز لنا تأثره بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب خاصة في مسألتي الرجوع إلى الكتاب والسنة، وتنقية العقيدة الإسلامية من الشوائب وكذلك مسألة الجهاد ؛ فالشيخ عثمان قد درس على يد المصلح الشيخ جبريل بن عمر الذي تأثر بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحاول أن يطبقها في السودان الغربي،[1] كما أن الشيخ عثمان قد أدى فريضة الحج عام (١٢٢٠هـ/١٨٠٦مـ)- كما سبق ذكره- والتقى هناك ببعض أنصار الدعوة الإصلاحية التي كانت في أوج قوتها،[2] كذلك فإن ما كان يراه الشيخ من بدع وخرافات في منطقته ربما دفعه للتمسك أكثر بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومحاولة نشرها في غربي أفريقيا ، ومن الواضح أن هناك تشابهاً بيناً بين حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وبين حركة الشيخ عثمان بن فودي وقد تجلى ذلك في الآتي :[3]

---

(١) انظر: إبراهيم ، المرجع السابق، ص ٣٨.

(٢) الغنيمي ، حركة المد ، ص ٢٠٣.

(٣) جمعة ، المرجع السابق ، ص ١٠٨ – ١٠٩.

١- حرص الشيخ عثمان على تثبيت التوحيد الخالص لله وحده، ومحاربة كل ما يؤدي إلى الشرك كالاعتقاد بقدسية بعض الأرواح أو الأشجار أو غيرها، أو تقديم القرابين للجن أو زيارة قبور الأولياء والصالحين لنيل شفاعتهم.

٢- إصداره لكتاب "إحياء السنة وإخماد البدعة" وفيه وضح وجوب العودة إلى القرآن الكريم والسنة المطهرة، ومحاربة البدع. وهذه الدعوة تجلت أيضاً في دروسه وخطبه.

٣- اتخاذه الجهاد المسلح وسيلة لنشر دعوته بين الوثنيين وحتى بين المسلمين الذين ابتعدوا عن تطبيق الإسلام الصحيح، وهو بهذا قد تأثر بدعوة الشيخ محمد في إعلان الجهاد لتخليص الإسلام مما علق به من أمور شركية.[1]

٤- تركيزه على محاربة التصوف في بيئة اعتادت أن تتخذ منه منهجاً

---

(١) اعتبر السكاكر (١٤٠٧هـ: ص٢٧٥) أن إعلان الشيخ عثمان للجهاد قد جاء متأخراً، وكان دفاعاً عن النفس وفي هذا - حسب رأي الباحث - دليل على عدم تأثره بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب؛ ذلك أن الشيخ محمد قد بدأ الجهاد بعد ست سنوات من إعلان دعوته في حين أن الشيخ عثمان لم يُقدم عليه إلا مؤخراً. ولكن نستطيع القول بأن الشيخ عثمان كان يدرك أهمية التدرج في أسلوب الدعوة والموعظة الحسنة، واختيار الوقت المناسب لنشر الدعوة بالسيف. ولهذا فإنه حينما استطاع أن يؤسس دولة قوية قادرة على مواجهة الأعداء بادر إلى ذلك ولم يتوان، وانطلق منها لضم المناطق المجاورة، وتطبيق الشريعة الإسلامية فيها؛ وهو في هذا يشبه ما قام به الشيخ محمد بن عبد الوهاب من جهاد ضد خصومه بعد تحالفه في عام (١١٥٧هـ/١٧٤٤م) مع أمير الدرعية محمد بن سعود، علماً بأن بداية القتال في نجد جاءت من خصوم الدرعية. كما أن إرسال الجيوش إلى مختلف بلدان نجد لم يتم إلا بعد أن قويت شوكة الدرعية وبدأ الخصوم يهابونها. المرجع نفسه، ص١١٢- ٢٦٢، ١١٣.

وطريقة، ولم تكن ترى في طقوسه كالتبرك بالآثار ما يخرج من الملة.

٥- حرص الشيخ عثمان على تطبيق تعاليم الدين الإسلامي في إدارة دولته وهو بهذا يشبه ما قامت به الدولة السعودية الأولى في هذا الشأن زمن الشيخ محمد بن عبدالوهاب وهو ما استمرت عليه حتى اليوم.

تأثير حركة الشيخ عثمان على بعض الحركات الإصلاحية الإسلامية في المنطقة :

استطاع الشيخ عثمان أن ينشئ دولة إسلامية موحدة تستقي تعاليمها من الدين الإسلامي. وظهر مجتمع جديد تحكمه طبقة تسعى لنشر هذا الدين، وتطبيق الشريعة الإسلامية، وهذا يختلف عما كان سائداً في تلك المنطقة. وقد أثمرت جهود الشيخ واستطاع أن يؤثر في بعض القيادات التي سعت من أجل توسيع دائرة الإسلام في أنحاء القارة الأفريقية، وكان من أبرز هؤلاء :

١ - الشيخ أحمد ولوبو الماسيني :

ولد الشيخ أحمد في بلاد ماسينا "مالي" عام ١١٨٨هـ/ ١٧٧٥م، وتلقى تعليمه في مدينة "جين Jenne" بغرب أفريقيا. وهناك درس الفقه، والحديث، والتفسير، والتاريخ الإسلامي. ثم عاد إلى بلاده فحكم ماسينا نيابة عن الشيخ عثمان - الذي كانت تتبع تلك الإمارة لسلطانه-. وقد اهتم الشيخ أحمد بنشر الدعوة الإسلامية بها.[١] ولكن وبعد وفاة الشيخ عثمان انفرد أحمد ولوبو بالسلطة في ماسينا معتذراً لخلفاء الشيخ عثمان بتباعد الأماكن وصعوبة التواصل.[٢] وقد أقره خلفاء الشيخ على ذلك ولم يعارضوه. في حين استمر الشيخ أحمد في حكم ماسينا متأثراً بدعوة الشيخ عثمان في إقامة دولة إسلامية، وكان

(١) بو عزيز، المرجع السابق، ص ١٥٣.

(٢) كاني، المرجع السابق، ١١٤.

يرسل أتباعه إلى المملكة "سوكوتو" للتزود من علوم الشيخ عثمان وخلفائه، وتوطيد العلاقة بين المملكتين، وبفضل من الله أثمرت جهوده فأسس مملكة إسلامية في منطقة ماسينا أطلق على عاصمتها اسم "حمد الله". واتسع نفوذ الشيخ بعد ذلك حتى وصلت سيطرته عام ١٢٤١هـ/ ١٨٢٧ م إلى أقصى تمبكتو؛ [١] فانتشر الإسلام في المنطقة وانتعشت البلاد اقتصادياً وثقافياً واجتماعياً وتوافد التجار والطلاب على منطقة ماسينا حتى بعد وفاة الشيخ أحمد ولوبو عام ١٢٥٩هـ/ ١٨٤٤م.[٢]

٢ - الحاج عمر بن سعيد الفوتي :

ولد الحاج عمر بن سعيد الفولاني عام ١٢١١هـ/ ١٧٩٧م في قرية حلوا على الحدود السنغالية الموريتانية، وكان والده من كبار علماء الدعوة في حوض السنغال فنشأ عمر نشأة دينية وعلمية حفظ فيها القرآن الكريم، ودرس اللغة العربية والتفسير والحديث وغيرها من العلوم.[٣]

وفي عام ١٢٤٠هـ/ ١٨٢٦م ذهب إلى الحجاز لأداء فريضة الحج ماراً بـ "سوكوتو" و "برنو" وقد تأثر بأفكار الشيخ عثمان بن فودي الإصلاحية، وقابل أثناء رحلته خلفاء الشيخ وأقام في "سوكوتو" مدة ستة أشهر اطلع خلالها على منجزات الشيخ عثمان وأبنائه ، وقد تزوج في سوكوتو بابنة أمير المؤمنين محمد بل ثم توجه إلى الحج عن طريق "فزان" و "ليبيا" و"مصر" ومكث مدة أربع سنوات في الحجاز عاد بعدها إلى بلاده عن طريق "برنو" ثم "سوكوتو" و أقام بها ثمان سنوات.

---

(١) فيج ، المرجع السابق ، ص ٢٩٨ .

(٢) بو عزيز ، المرجع السابق ، ص ١٥٤.

(٣) المرجع نفسه ، ص ١٦٥.

ثم غادرها بعد وفاة أمير المؤمنين محمد بل عام ١٢٥١هـ/١٨٣٧م متجهاً إلى إمارة ماسينا. وبقي لدى الشيخ أحمد ولوبو حاكم ماسينا مدة ثم رحل عنها واستقر في " فوتاجالون " بالسنغال[١] حيث أسس فيها رباطاً للعبادة وأصبح ذلك الرباط بعد ذلك مركزاً للثقافة الإسلامية والنشاط التجاري بالمنطقة. وقد استمر الحاج عمر مدة سبع سنوات يعمل من أجل الدعوة الإسلامية. واستطاع في عام ١٢٧٠هـ/١٨٥٤م أن يكوّن جيشاً قاده في حركة جهاد إسلامي ضد الإمارات الوثنية المحيطة به فقام بغزو " كارتا Kaarta " وأخضعها لحكمه، ثم توجه نحو مدينة " حنو Hono" وكذلك" جلم Jelm " بحوض السنغال الأوسط . ولكن نشاط الفرنسيين في تلك الجهات بين عامي (١٢٧٣- ١٢٧٥هـ/ ١٨٥٧-١٨٥٩م) قد جعل الحاج عمر يوقف تقدمه غرباً، ويتحول نحو الشرق ؛ فقام بغزو مملكة "سيقو Segu" عام ١٢٧٨هـ/ ١٨٦٢م، ومدينة " تمبكتو" عام ١٢٧٩هـ/ ١٨٦٣م.[٢]

وقد ركز الحاج عمر جهوده على نشر الإسلام ، ومحاربة الوثنيين ، وأسس إمبراطورية " التوكولور Tukolor " في السودان الغربي. وواجه تحديات كثيرة داخلية وخارجية حيث كان الفرنسيون يعملون في تلك الجهات من أجل الاستعمار. وقد اغتيل الحاج عمر فخلفه من بعده أبناؤه الذين واجهوا القوات الفرنسية.[٣] ووقعت بين القوتين معارك غير متكافئة انتهت بانتصار القوات الفرنسية التي احتلت البلاد وقضت على الحكومة الإسلامية فيها، وشردت

---

(١) المرجع نفسه ، ص ١٦٦ .

(٢) حسن ، المرجع السابق ، ص ١٣٧.

(٣) بوعزيز ، المرجع السابق ، ص ١٦٧.

العلماء والحكام.[1] وكان ذلك عام ١٢٩٤هـ/ ١٨٧٨م.[2]

أثر دعوة الشيخ عثمان في غربي أفريقيا:

لقد تركت تلك الدعوة الإصلاحية التي قام بها الشيخ عثمان أثراً عظيماً لدى المسلمين في نيجيريا خاصة، وغربي إفريقيا عامة؛ فقد استطاع أمراء الفولاني أن ينشروا الإسلام بين قبائل الهوسا، ودانت لهم القبائل في شمال نيجيريا فعمّقوا فيها الإسلام ودعّموه وطبقوا تعاليمه، كما طبق فقهاؤهم مذهب الإمام مالك في الشريعة الإسلامية.[3]

وتمكن الشيخ عثمان بن فودي خلال ثلاث عشرة سنةً من سيطرته على بلاد الهوسا بإماراتها، وأقاليمها المختلفة أن يؤصل الإسلام بها وأن يعين عليها ولاةً مسلمين يطبقون تعاليم الشريعة الإسلامية، وينشرون الدين الإسلامي. وقد أصبحت العاصمة "سوكوتو" منارة للعلم والعلماء فاستطاع الشيخ أن يعيد للإسلام في تلك الجهات تعاليمه القويمة المستمدة من الكتاب والسنة، ويعمل من أجل القضاء على البدع والخرافات التي كانت سائدة في المنطقة. ولا شك أن تأثره بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية قد أسهم في نشر الدعوة الإسلامية الصحيحة في غربي أفريقيا. ولم تقتصر مآثره على ذلك بل إن عدداً من العلماء الذين تأثروا بدعوة الشيخ عثمان قد أسهموا في نشر الإسلام في أنحاء متعددة من جنوبي نيجيريا ومنطقة مالي، والسنغال. كما أن هذه الحركة كان لها أثر كبير في نشر اللغة العربية والعلوم العربية الإسلامية فأصبحت اللغة العربية في عهد الشيخ

---

(١) كاني، المرجع السابق، ص١١٦.

(٢) فيج، المرجع السابق، ص ٣٠٠.

(٣) بوعزيز، المرجع السابق، ص ١٤٩- ١٥٠.

عثمان وخلفائه هي لغة المراسيم والمكاتبات، والدواوين والمعاملات التجارية. وتركت بصماتها واضحة في لغة الهوسا والفولاني.[1] وعلى الرغم من سقوط دولة الشيخ عثمان، وضم المنطقة إلى النفوذ البريطاني إلا أن الأسس التي وضعها الشيخ عثمان وخلفاؤه كانت رائدة الحضارة الإسلامية بنيجيريا، ولا زال المسلمون هناك يمارسون دورهم في الحفاظ على الدين الإسلامي في تلك الجهات.[2]

* * *

(١) الغنيمي، حركة المد، ص ٢١٣.

(٢) إبراهيم، المرجع السابق، ص ١٤٦.

الخاتمة:

وهكذا نرى أن دعوة الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله قد أحدثت ثورة فكرية وثقافية واجتماعية في بلاد الهوسا بغرب أفريقيا كذلك في مناطق مجاورة مثل مالي، والسنغال؛ فانتشر الإسلام بشكله الصحيح في تلك الجهات وتضاعف عدد المدارس الإسلامية بدرجة كبيرة. ويرجع هذا إلى نشاط العلماء هناك من أجل نشر الإسلام وتطبيق الشريعة الإسلامية على أسس قويمة. وطبق خلفاء الشيخ عثمان هذا النظام الإسلامي وتمسكوا بمبادئه. وصارت الأسس التي وضعها الشيخ عثمان دستوراً للحياة، كما أصبحت مؤلفاته منارةً للعلم والعلماء. وبذلك تركت الدعوة السلفية الإصلاحية أثرها في القارة الأفريقية على يد رجال تأثروا بها وعملوا على نشرها في أفريقيا؛ فانطلقت الدعوة الإسلامية في تلك الجهات متأثرة بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية في الدعوة والتبليغ، وفي الجهاد والانتشار وإن كانت تختلف عنها في بعض المبادئ والتطبيق.

* * *

فهرس المصادر والمراجع :

١- إبراهيم - عبد الله عبد الرزاق ، **الإسلام والحضارة الإسلامية في نيجيريا**، (مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٤م).

٢- أرنولد - توماس، **الدعوة إلى الإسلام**، ترجمة وتعليق حسن إبراهيم حسن، عبد الحميد عابدين، (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط: ٣، ١٩٧٠م).

٣- الألوري- آدم عبدالله ، **موجز تاريخ نيجيريا**، (منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٥م)،.

٤- ابن بسام - عبد الله بن عبد الرحمن ، **علماء نجد خلال ستة قرون** ،(مطبعة النهضة الحديثة ، مكة المكرمة،١٣٩٨هـ).

٥- البلاذري- أبو الحسن أحمد بن يحيى (ت٢٧٩هـ)، **فتوح البلدان**، مراجعة وتعليق رضوان محمد رضوان، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨م).

٦- بوعزيز – يحيي، **تاريخ أفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين**، دار هومه للنشر، الجزائر، ٢٠٠١م.

٧- الجمل - شوقي، **تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها**، (مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ط ٢، ١٩٨٠م).

٨- جودة - جودة حسين ،**جغرافية إفريقيا الإقليمية** ، (دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١م).

٩- حسن - حسن إبراهيم، **انتشار الإسلام في القارة الأفريقية**، (مكتبة النهضة المصرية، ط٣، ١٩٨٤م).

١٠- الخضري - عبد العزيز ،**نيجيريا والانتصار للعالم الثالث**، (مجلة الشرق،القاهرة ، العدد ٢٢٨، السنة السادسة، ١٥ أغسطس ١٩٨٣م)،.

١١- رياض – محمد، وكوثر عبد رب الرسول، **أفريقيا- دراسة لمقومات القارة**، (دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٣م).

١٢- السكاكر – محمد بن علي ، **دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ودعوة الشيخ عثمان ابن فودي** ، دراسة تاريخية مقارنة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية العلوم الاجتماعية، الرياض ، ١٤٠٧هـ.

١٣- السكاكر- محمد بن علي ، **محمد بل والدولة الصكتية في عهده "١٢٣٢-١٢٥٣هـ/١٨١٧- ١٨٣٧م**، رسالة دكتوراه ،كلية العلوم الاجتماعية ، الرياض ، ١٤١٥م.

١٤- شاكر - محمود ، **نيجيريا** ، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢ ، ١٩٧١م).

١٥- شلبي - أحمد ،**موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية** ، (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ، ط ٣، ١٩٧٨م) ،.

١٦- الطبري - أبو جعفر محمد، (ت ٣١٠ هـ)،**تاريخ الأمم والملوك**، (دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٩م).

١٧- عباس - محمد جلال، ، **المد الإسلامي في أفريقيا**، (المختار الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٧٨م).

١٨- عبد الظاهر- **حسن عيسى، الدعوة الإسلامية في غرب أفريقيا وقيام دولة الفولاني**، (دار الثقافة والنشر بالرياض، ١٩٨١م).

١٩- العثيمين _ عبد الله الصالح ،**تاريخ المملكة العربية السعودية** ، (الرياض ،١٤٠٤هـ).

٢٠- الغنيمي - عبد الفتاح مقلد ،**حركة المد الإسلامي في غربي أفريقيا** ، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة ،١٩٨٥م،.

٢١- الغنيمي- عبد الفتاح مقلد ، **مراكز الحضارة الإسلامية في بلاد الهوسا**، مجلة الفيصل، الرياض، العدد ٣٤ ،ربيع الثاني ١٤٠٠هـ).

٢٢- فليجة - أحمد نجم الدين ،أفريقية - **دراسة عامة وإقليمية لأقطارها غير العربية**- ، (مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٧٧م) ،.

٢٣- كاني - أحمد محمد ،**الجهاد الإسلامي في غرب أفريقيا** ، (الزهراء للإعلام العربي ، القاهرة . ١٩٨٧م).

٢٤- الموسوعة العربية العالمية_ **مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع** ، الرياض ،ط٢، ١٩٩٩م)،.

٢٥- النقيرة _ محمد عبد الله، **التأثير الإسلامي في غربي أفريقيا**، (مطابع الفرزدق، الرياض، ١٩٨٨م).

* * *

(ملاحق البحث)

الخرائط : (*)

١- خارطة توضح انتشار الإسلام في غرب أفريقيا.

٢- خارطة توضح المعارك الرئيسية في جهاد الشيخ عثمان بن فودي .

٣- خارطة تبين حدود " الدولة الصكتية " والمدن الهامة بها .

---

* إبراهيم ، المرجع السابق ، ٣١٠- ٣١٤.

الخريطة (١)

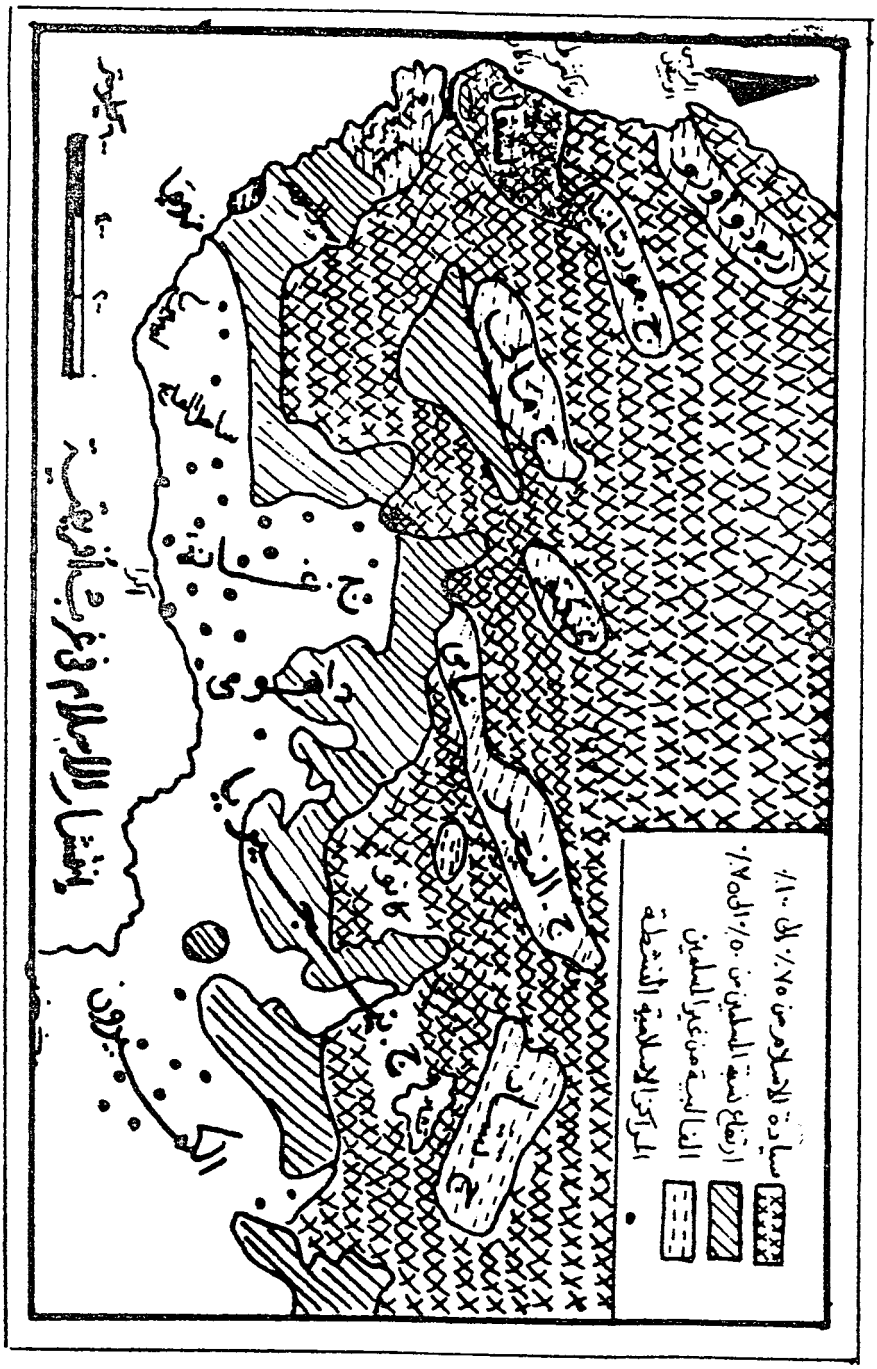
سيادة الإسلام من ٧٥٪ إلى ١٠٠٪
ارتفاع نسبة المسلمين من ٥٠٪ إلى ٧٥٪
الغالبية من غير المسلمين
المراكز الإسلامية النشطة
نيجيريا
الكاميرون
بحيرة تشاد
النيجر
بنين
توغو
غانا
ساحل العاج
ليبيريا
سيراليون
غينيا
موريتانيا
الجزائر
ليبيا
مصر
السودان
تشاد
بوركينا فاسو
مالي
السنغال
غامبيا
غينيا بيساو
غينيا الاستوائية
الجابون
الكونغو
زائير
أوغندا
كينيا
رواندا
بوروندي
تنزانيا
أنجولا
زامبيا
ملاوي
موزمبيق
ناميبيا
بوتسوانا
زيمبابوي
جنوب أفريقيا
ليسوتو
سوازيلاند
مدغشقر
موريشيوس
جزر القمر
سيشل
الصومال
جيبوتي
إثيوبيا
إريتريا
المحيط الهندي
المحيط الأطلسي
البحر الأحمر
البحر الأبيض المتوسط
خليج غينيا
خليج بنين
خليج بيافرا
خليج سدرة
خليج قابس
خليج السدرة
خليج عدن
خليج سيدرا
خليج ليبيريا
خليج غينيا
خليج بنين
خليج بيافرا
خليج سدرة
خليج قابس
خليج السدرة
خليج عدن
خليج سيدرا
خليج ليبيريا
خليج غينيا

الخريطة (٢)

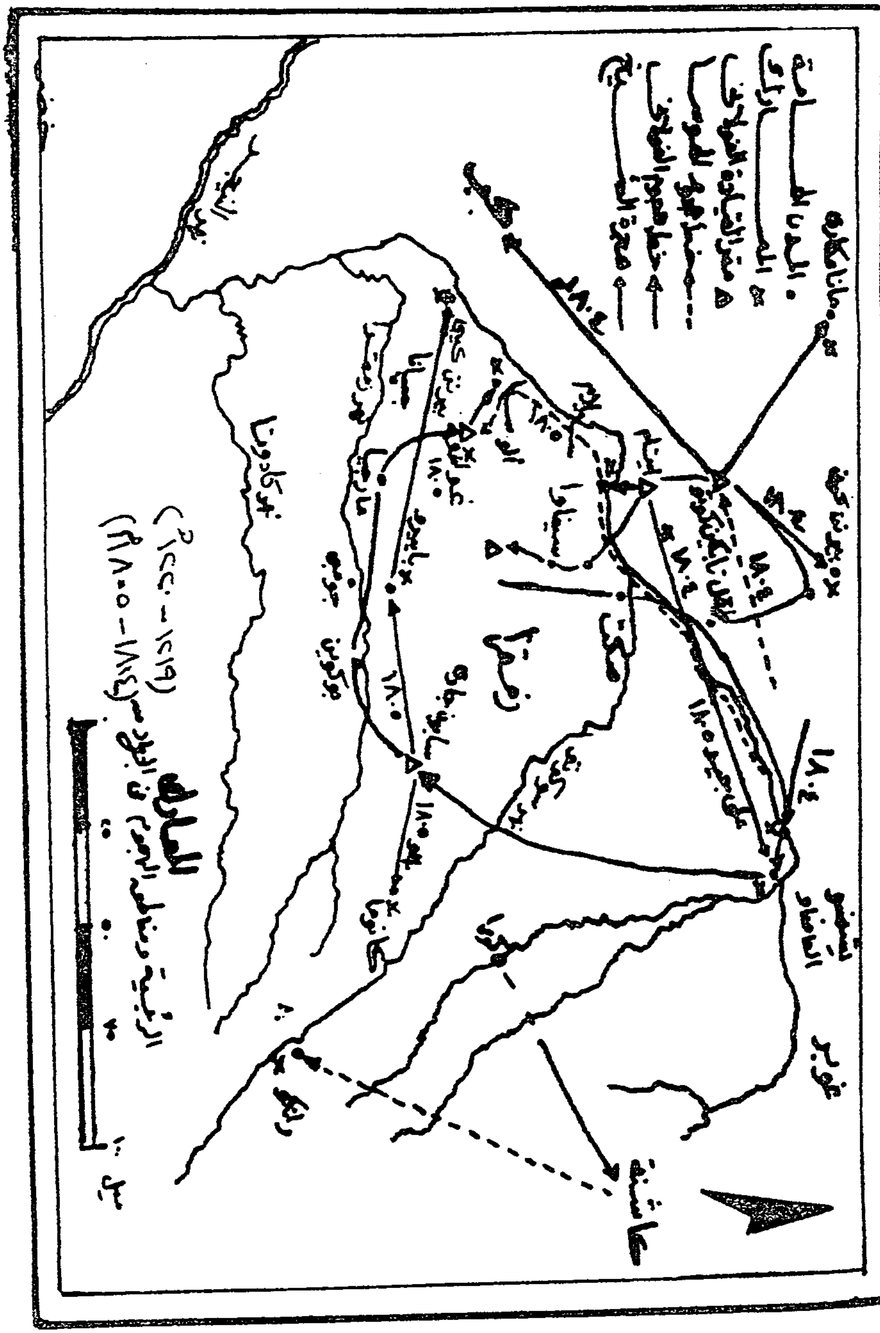

الخريطة (٣)

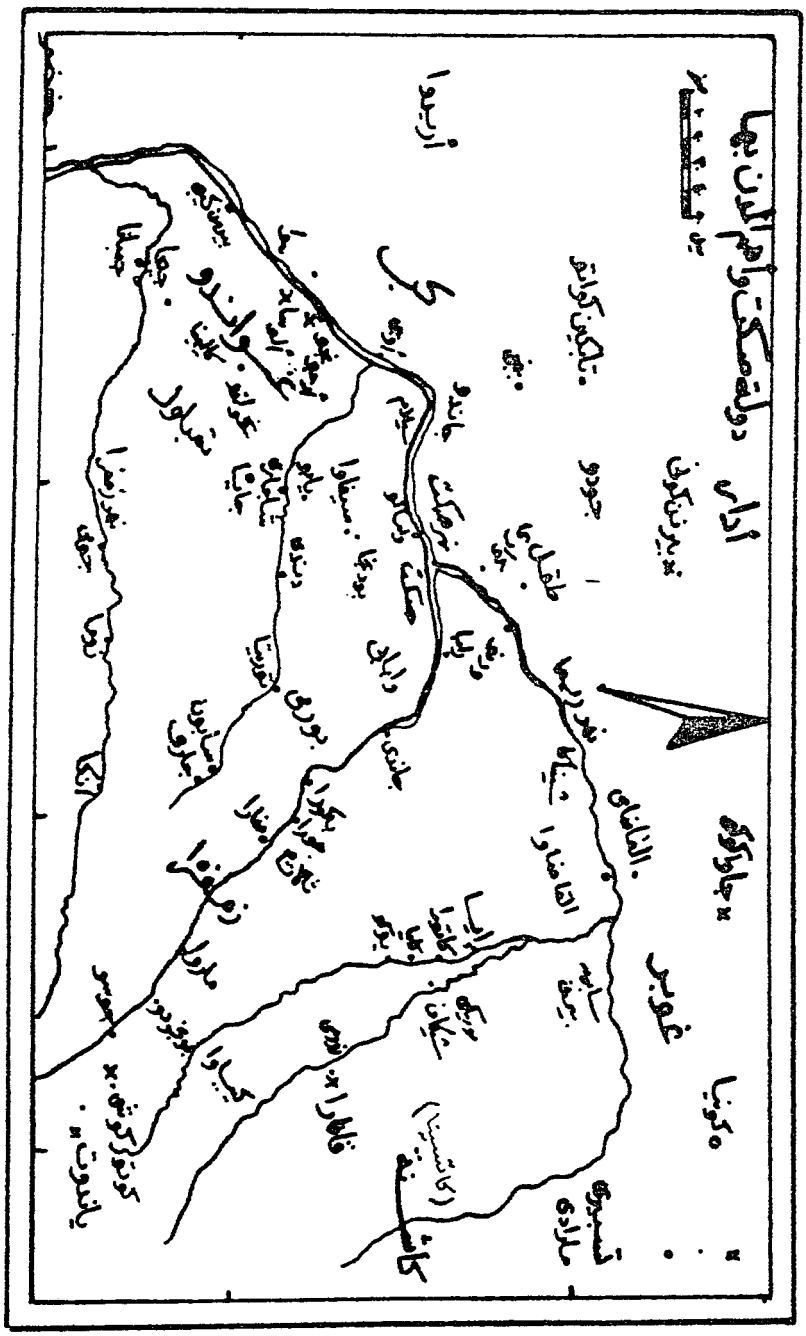
أدامى
أريدوا
جودو
جاوا
غومبي
كونيا
الفانغا
الفاضارا
فلاتا
(كاتسينا)
كانو

ملحق رقم (١)

(نماذج من مخطوطات الشيخ عثمان بن فودي) (*)

مقدمة مخطوط " نجم الإخوان يهتدون به بإذن الله تعالى في أمور الزمان"، وخاتمته.

(*) السكاكر، دعوة الشيخ، ص ٢٩٠.

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه
وسلم تسليما قال العبد الفقير المضطر لرحمة ربه عثمان
بن محمد بن عثمان بن صالح المعروف بابن فودي متمه الله
برحمته آمين الحمد لله الذي انعم علينا بنعمة الايمان والاسلام
وهدانا بسيدنا ومولانا محمد عليه من الله تعالى افضل الصلاة
وازكى السلام اما بعد فهذا التاليف تميم الاخوان يهتدون به باذن
الله تعالى في امور الزمان في جمعته في مقدمة وسبعة فصول
وخاتمة وهو كتاب نافع لمن عول عليه في هذا الزمان جعلنا
الله تعالى والله تعالى المسؤول بان ييسر جمعه والانتفاع به بمنه
وكرمه والمقدمة ان لا اذكر قولا الا مسبوقا لقائله واذكر الكتاب
الذي نقلت منه كما هو عادتي في غالب تواليفي لان ذلك اقرب
الى طمانينة القلوب وكما ان عادتي ايضا في غالب تواليفي
حض الناس على الخروج من الخلاف لان العلماء متفقون على الحث
على الخروج من الخلاف وكما ان عادتي ايضا في غالب تواليفي
التوسعة على الاخوان بذكر اقوال العلماء في مسائل الخلاف
ومقصودي في ذلك ان شاء الله وان كانت النيات لا تقتل وكل
ونقصد بذلك نظام الامة والخروج من شر يلتز العامة
وجمع الباب المقصودة ومن حملني على غير ذلك فالله حسيبه
يوم تبلى السرائر المقدمة في بيان ان دين الله يسر وبيان ما من الله
به علينا في هذا الزمان من جهة الدين والدنيا اما بيان ان دين الله
يسر فقد قال الله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم
العسر وقال الله تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج وقال
عليه الصلاة

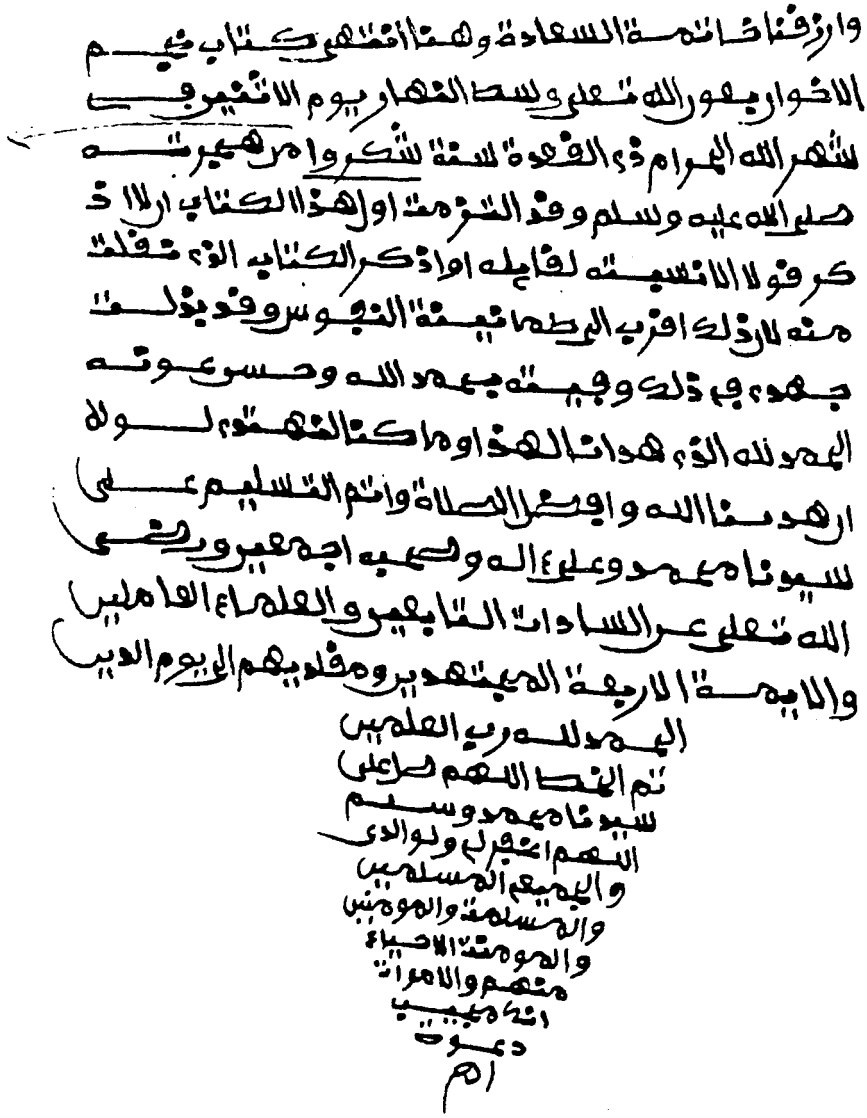

ملحق رقم (٢) (*)

رسالة من الشيخ عثمان بن فودي إلى الشيخ الحاج الأمين الكاني، تتضمن جوابا من الشيخ عثمان على رسالة قد بعثها إليه الحاج محمد الأمين الكاني.

(*) السكاكر، دعوة الشيخ، ص ٢٩٠.

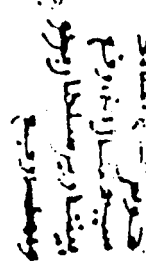

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد فإن الأمير المؤمنين عثمان بن محمد أبي بكر المعروف بابن فودي إلى الشيخ العالم العامل محمد الأمير بن محمد الكانمي يسلم عليه وعلى من هناك من المسلمين وسبب الوظيفة أعلامك خمسة أمور وهي تفوز من جوابه وثيقتك التي وصلت إلينا على يد بريه نا عثمان الأول أعلامك سبب القتال الذي وقع بيننا وبين سلاطين برنو وأهله الثاني أعلامك أنا لا نكفر أحدا من أهل القبلة الرابع أعلامك أننا نأمر كل من يخلط أعمال الإسلام بأعمال الكفر والضلالة الخامس لأعلامك حكم الهجرة إلى بلد برنو أما الأول الذي هو سبب القتال الذي وقع بيننا وبين سلاطين حوسر فقد كتبوا ذلك ما كتبه أخي عبد الله فإنه قال له ذات يوم اكتب لنا سبب القتال الذي وقع بيننا وبين سلاطين حوسر ليعرفه ناس ذلك كل من وقف عليه من دار من أهل الإسلام فأجابه بكتب ذلك الكتاب الذي نص كلامه في ذلك بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده أما بعد فمعلوم أن هذا المكتوب ببيان سبب هجرتنا من بلد غوبر وسبب مجاهدتنا الذي وقع بيننا وبين سلاطين حوسر ليعرفه ناس ذلك كل من وقف عليه من دار من أهل الإسلام ويعلموا أن شيخنا عثمان بن محمد أمير المؤمنين أطال الله حياته ثم هاهنا أنه نشأ على دعوة الخلق إلى ربهم الله ثم جلس حلق فيه يبين لأهل كل مجلس بلغتهم ما هو خير لهم في دينهم ودنياهم ويأمرهم بمكارم الأخلاق ومجتنبها وإزالة الشبهات التي منهم في قبر التوحيد وغيره وهم تخليصهم من الصفات المهلكات والتحلي بالصفات المنجيات وإحياء السنن وإخماد البدع بأجابه خلق كثير ونصروه حتى انتشر ذلك في أقطار بسيط جماعة وفي البلاد لتبليغ الدين فيها فتن تاب أكثر العباد فيها من الكفر والفسوق والبدع وصار بلاد كل زمانه